تفريغ محاضرة

أَيُّ المجالِسِ مَجْلِسُك

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٢٠-٢-١٤٤٣ هـ

"أَيُّ المجالِسِ مَجْلِسُك"

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيّئات أعمالِنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أنْ لا إله إلّا الله، وأنّ محمّدًا رسول الله،

أمّا بعد:

إذا أردنا حساب الأوقات التي تجلسها مع نفسك والأوقات التي تجلسها مع النّاس؛ نجد -وفق إحصائيّاتٍ مدروسةٍ- أنّ الكثير من النّاس يمضي ما بين **(70%)- (80%)** من وقته مع الآخرين، فالإنسان كائنٌ اجتماعيٌّ لا يستطيع أنْ يعيشَ منفردًا، وكثير من أخلاقه ومهاراته وكلامه وردودِ أفعاله لا يمكن أن تتطوّر إلّا مع النّاس، فهو يحتاج للنّاس، مهما ادّعى أنّه بغنًى عنهم.

ولقد كانوا -سابقًا- في الأمثال العربية يقولون:**"قلْ لي ماذا تقرأُ؟ أقلْ لك منْ أنت"**، أو: **"قلْ لي من تصاحبُ أقلْ لك منْ أنت"**، وعلى شاكلة ذلك: **"قلْ لي من تُجالِسُ أقلْ لك منْأنت"**، ذلك أنّ مجالسَك -كما هو معروفٌ- تعبِّر عنك، وعن شخصيَّتِك، وعن أخلاقِك، ومن الأهمية بمكانٍ أنْ نتحدّثَ ونوضّحَ كيف يجب أنْ يكونَ مجلسُك، فشخصيّاتُ النّاس تتحدّدُ بناءً على مواضيعِهم التي يتداولونها بينهم، وعلى وردودِ أفعالِهم ونقاشاتِهم حولَ موضوعٍ ما.

يقوم الدِّين الإسلاميّ على ثنائيّة الرّوح والمادّة معًا، ولا يعتمدُ فقط على الحديث عن العالم الأخرويّ، ولذلك فإنّ الإسلامَ يعلّمك كيف تعيش في الدّنيا بسلامٍ، وبشكلٍ يحفظ لك حياتك، وبالوقت نفسه يُدخِلك الجنة؛ لأنّ الدّنيا مزرعةُ الآخرة، فإذا لم تتعلّم كيف تعيشها فلن تكون النّتائج كما تحبّ وترضى في الآخرة.

يُذكرُ أنّه جاء رجلٌ إلى الشّيخ ابن باز -رحمه الله- وقال له: **"أريدُ أنْ أجاهدَ وأستشهدَ في سبيلِ الله، فقال له الشّيخ: أمّا الشّهادةُ في سبيلِ الله فهي شيءٌ سهلٌ، لكنّ الصّعب هو كيف تعيشُ في الدّنيا مع البشرِ في سبيل الله".**
فلاحظ؛ العيشُ في سبيل الله أصعبُ من الموت في سبيله عزّ وجلّ.

وانطلاقًا من ذلك؛ لا بدّ لنا أنْ نُبيّن كيف يجب أنْ يكونَ مجلسُ المؤمن سواءٌ مع المحيطين به، أو في المجموعات الافتراضيّة التي يشترك فيها مع غيره، إذ يجب على المؤمن أن يُكوّنَ فكرةً عن كيفيّة مجلسه؛

كيف يكون اختلاطُه فيه؟ وكيف يكون تأثيرُه وتأثّرُه فيه؟ وما هو المباحُ وغير المباح؟ وهل يكفي الاقتصارُ على المواضيع الدّنيويّة السّليمة؟ أمْ لا بد من ذكر الله؟

- **أهمُّ كبائرِ المجالس:**

أولًا- النّميمةُ:

وهي نقلُ الحديث من قومٍ إلى قومٍ على سبيل الإفساد والشّرّ، والتّفريق بين الناس والسّعي من أجل بثّ الخلاف بينهم، وهي -كما قال **الإمام الغزالي** - رحمه الله- إفشاءُ السّرّ، وهتكُ السّتر عمّا يُكرَه كشفُه.

والأمثلة على النّميمة كثيرةٌ؛ فإذا نقلتَ كلام شخصٍ لشخصٍ آخرَ؛ فأنتَ حرّضتَه على أخيه المسلم، وأدخلتَ الضّغينة والأحقاد إلى قلبه، وسبّبتَ بينهما القطيعة والهجران، فهذه نميمةٌ.

أو أنّك -مثلًا- أثَرْتَ موضوعًا ما عن مُنكَرٍ عند شخصٍ ما أو مجموعةِ أشخاصٍ، فأصبح هنالك طرفان متناقضان ومنقسمان بين مُؤيّدٍ ومُعارضٍ، ثم تُرِك الموضوع مَحلَّ خلافٍ من غير توجيهٍ وإرشادٍ، فهذه نميمة،

أو كإثارتِك حديثًا حول آخرِ مسلسلٍ تلفزيونيّ، وما جرى فيه من أمورٍ تُغضِب وجه الله تعالى، فيتبادل الحشدُ الحديثَ بمتعةٍ ورضًى حول المشاهد الفاحشة المُتحدَّثِ عنها، فيشعرون بالانجذاب والتّشوّق لمتابعة تلك المحرّمات، فيصبح تطبيع المنكر شيئًا مألوفًا، فهذه أيضًا نميمة.

وللنّميمة دورٌ كبيرٌ فيما بلغناه اليوم من سقوطٍ أخلاقيٍّ، فقد وصلنا لمرحلةٍ لم يعد فيها ذِكر المصطلحات المحرّمة غريبًا في مجالسِنا، **كالشّذوذ واللّواط...** بعد أن كان القلب يرتجفُ لمجرّد سماعها. وربّما يرمي شخصٌ خبيثٌ كلمةً خبيثةً أمام إحدى النّساء المتزوجات فيقلب حياتَها إلى خرابٍ بعد أنْ تكونَ قد أمضتْ أعوامًا طِوالًا سعيدةً مع زوجها.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ**

قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا» أَوْ: «إِلَى أَنْ يَيْبَسَا"[1].

ثانيًا- الغِيبةُ:

تختلفُ الغيبةُ عن النّميمة؛ وهي أن تقولَ عن أخيكَ المسلم قولًا حقيقيًّا سبق له أنْ وقع، لكنّ أخاك يكرهُ ذلك.

ولْتعلمْ -أخي المسلم- أنّ المستمعَ شريكُ المغتاب -كما يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية**-رحمه الله- فلا تظنّ أنّ عدمَ مشاركتِك الكلامَ على أخيك المسلم ينقذك، فلذلك وجبَ عليك ألّا تسمحَ لأحدٍ أنْ يغتاب أحدًا آخرَ بحضورك، وإنْ أصرّ فغادِر مجلسَه.

ومنهم من يُخرِج الغيبة بقوالبَ مختلفةٍ، فيقول: أنا على استعدادٍ أن أقولَ هذا أمامه، فما دمتَ قد ذكرتَه بغيابه بما يكره فهذه غِيبة.

ولقد صنّف علماءُ الإسلام الغيبة ككبيرةٍ من الكبائر، وحذّر منها دينُنا بشدّةٍ، وشبّه الله تعالى المغتاب بالذي أكلَ لحمَ أخيه وهو مَيْت، وذلك بقوله: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا**﴾(الحجرات: ١٢).

ثالثًا- الكذبُ والبُهتان:

والكذبُ والبهتانُ متقاربان في المعنى؛ فالكذبُ أن تقولَ ما ليس موجودًا ولا حقيقيًّا، وقد تتكلّم بشيءٍ كاذبٍ عن نفسِك أو عن غيرك، أمّا البهتانُ فهو أشدُّ من الكذب، إذ هو الرّمي بالباطل، وبهذا يختلف عن الغيبة، فإذا قلتَ في غياب أخيكَ المسلم ما هو فيه ويكرهه فهي **(غيبة)**، وإذا اخترعتَ كلامًا ليس فيه فهو **(بُهتان)**.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**لَا يَعْضَهْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**"[2].

كما أنّ الكذب صفةٌ مذمومةٌ، فلا تظنَّ أنّك إذا ألّفتَ كلامًا مزيّفًا فإنّك لا تضرُّ غيرَك، بلى؛ فمثلًا بعض النّساء -هداهُنَّ الله- يكذبن في مجالسهنّ، ويدّعِينَ أنّ الزّوج أو الأب يشتري كذا وكذا، ويفعل كذا وكذا...وكلُّها أمورٌ من وحي الخيال، فمثل هذا الكلام المُزيّف يؤثّر في المستمعات، ويؤدّي إلى ضررٍ بالغٍ مع أزواجهنّ، إذا ثُثار فيهنّ الغيرة، فيؤدّي ذلك إلى خلافٍ ومُطالبَات غير مسبوقةٍ للزّوج لكي يفعل مثلَ زوج تلك المرأةِ التي كذبت عليهن...

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه.

[2] أخرجه الطّيالسي في مسنده، وصحّحه الألباني.

ومِمّا يدخل أيضًا في نطاقِ الكذب والبهتان؛ السَّبُّ والشّتم بطريقةٍ مُبطَّنةٍ، فما أسوأ أنْ يتبادلَ شخصان كلامًا جميلًا، لكنّهما يقصدان عكسَه، ويهينان بعضَهما بشكلٍ غيرَ مباشر.

فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أحدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَبَّنِي فِي مَلَإٍ؛ هُمْ أَنْقَصُ مِنِّي، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ، هَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ جُنَاحٌ؟ قَالَ: " الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذَبَانِ"**[3].

رابعًا- النِّفاقُ والإذعانُ:

مثالُ ذلك؛ شخصٌ يُنافِق لرئيسِه في العمل؛ لتحقيقِ مصلحةٍ معيّنة، مما يدفع الرّئيس لاتخاذِ قرارٍ خاطئٍ قد يعود بالضّرر على ملايين النّاس، وقد يمتدّ الضّررُ إلى أجيالٍ قادمةٍ، فهذا النّوع من التّطبيل والنّفاق مَنهيٌّ عنه في الشّرع، ولذلك فإنّ المؤمن أخُ المؤمن لا يظلمُه، وينصحُه، ويأخذُ بيده ظالمًا كان أو مظلومًا، فعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**"انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ"**[4].

فإذا كان أخوك ظالمًا، فقد أمرَك الدّين ألّا تصمتَ وتنأى بنفسك عن ذلك، بل تنصرُه وتتدخّل لدفعه إلى رفع ظلمه عمّن ظلم، وهذا -أيضًا- من حقوقِ بعضنا على بعض.

خامسًا- الاستهزاء:

فأحيانًا يتكلم شخصٌ في مجلسٍ عن موقفٍ مضحكٍ، ويكون في ذلك الموقف شيءٌ من الاستهزاء بمَن يتكلم عنه، كأن يقول: قصير، سمين، طويل، دميم، فقير...وعندما يحضر الإنسان المُستهزَأ به؛ يقوم المُستهزِئ بفعل بعض الحركات البسيطة التي تجعل الحاضرين في المجلس يستمتعون ويضحكون، فيشعر المُستهزِئ بالسّعادة أنّه نجح بإحرازِ الصّدارة في مجلسه.

فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ: **"مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ، وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ البَحْرِ لَمَزِجَ"**[5].

---

[3] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصحّحه الألباني.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه.

[5] أخرجه التّرمذي في سننه، وصحّحه الألباني.

فلا تقلْ -بعد استهزائك- لم أكنْ أقصد، فأمّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها لم تكن تقصد بالتّأكيد، إنّما هي فقط أشارت بيدها، غيرَ قاصدةٍ الانتقاص.

ومنهم من يُخرِج الاستهزاء بقالبِ**(التّقليد)**؛ فانتبه! عندما تُقلّد شخصًا ما، فتغيّر نبرةَ صوتك، وحركاتك، وتستمرّ بالنّيل منه من أجل إبهارِ جلسائِك، ولعلّ الذي تقلّده لا يُظهرُ لك ألمَه منك بدافع الخجل،فعن عائشة رضي الله عنها قالت: وحاكيتُ له إنساناً، فقال: **"ما أُحِبُّ أنى حكيتُ إنساناً وإنّ لي كذا وكذا"**[6].

سادسًا- الانقسامُ في المجلسِ والتّكلّم بسريّةٍ أمامَ الآخرين:

من الأمور السّيئة التي يُحدِثها البعضُ في المجالس؛ الانقسامُ بين الجلساء بحيث يكون ضمنهم فريق يتكلم أفرادُه بسريّة وبصوتٍ هامسٍ، انظر لتفقُّد رسول الله صلى الله عليه وسلّم لنفسيّات البشر؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**"إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً، فَلاَ يَتَنَاجَى رَجُلاَنِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ"**[7].

فإيّاك أن تستهينَ بمثل هكذا موضوع، وتُبرّرَ لنفسك فَعْلَتَكَ بالاستئذان من الشّخص أو الأشخاص الذين تريد الابتعادَ عنهم أنت ومن معك، فلعلّ هذا الشّخص يبدي لك موافقةً ظاهريّةً على طلبك، لكنّه بالتّأكيد سيحزن، وسيظنُّ نفسَه غريبًا أو منبوذًا.

وفي هذا لفتةٌ لأولي الأبصار؛ إذ إنّ الشّريعة الإسلاميّة حرِصت على المسلم ومشاعرِه من هكذا تصرّف، فكيف بمن يُخطِئُ بأعظمَ منه؟!

سابعًا- التّعدّي على شرعِ الله تعالى:

فالبعض يقرأ آيةً أو حديثًا بطريقةٍ ساخرةٍ -والعياذُ بالله- أو بتفسيرٍ يخدمُ سخريته، أو يسبّ الله ورسوله -اللهم عافِنا واعفُ عنّا- وهذه كلُّها من الشّرور العظيمة التي يجب الحذرُ منها.

ثامنًا- الخُلُوُّ من ذِكرِ الله تعالى:

إنّ مجلسًا يُعقد لمدةٍ معيّنةٍ لا يُذكَر فيه الله تعالى لمجلسُ سوءٍ ولو أنّه لم يشتملِ على المساوئ، وإنّ مجلسًا يخلو من ذكر الله تعالى فهو مذمومٌ عنده عزّ وجلّ، ولذلك فإنّ أهلَ الجنة -في الجنة- لا يتّحسّرون في دنياهم إلّا

[6] أخرجه أبو داوود في سننه، وصحّحه الألباني.

[7] أخرجه البخاري في صحيحه.

على عدمِ الإكثارِ من ذكرِ اللهِ الغنيِّ عن العالمين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**"مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً"**[8].

والمجالسُ التي تخلو من الصّلاة على النّبيّ الكريم صلى الله عليه وسلم فمذمومةٌ أيضًا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:**"مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ"**[9].

وقال أبو سعيد الخُدري: **"وإنْ دخلوا الجنّة"**[10].

فالجلساءُ البعيدون عن ذكرِ الله تعالى والصّلاة على رسولِه الكريم صلى الله عليه وسلم -بالتّأكيد- هم أصحابُ القلوبِ القاسيةِ الذين توعّدهم الله تعالى بقولِه عزّ وجلّ: **﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزّمر: 22).**

يبيّن لنا الحديثان الشّريفان السّابقان أهميّةَ التّهليلِ والتّسبيحِ والتّكبيرِ والتّحميدِ وأيِّ ذكرٍ كان، والصّلاةِ على النبي صلى الله عليه وسلم؛ وفيهما -أيضًا- تنبيهٌ واضحٌ ليجعلَ الإنسانُ حياته بأكملها مفعمةً بذكر الله دون حصره بزمانٍ ومكانٍ مُعَيَّنَين،

وانطلاقًا من هنا؛ يجب عليك ألّا تسمحَ بأنْ تطولَ فترةُ انقطاعك عن ذكر ربّك، وهناك بعض الأشخاص -جعلنا الله منهم- يتّصفون بالحيويّة والديناميكيّة؛ إذ يغيّرون المواضيع السّاذجة بطرقٍ غير مزعجةٍ، وبدون مقاطعة المتكلّمين، ويدخلون في موضوع دينيٍّ فيُعلّقون تعليقًا إيجابيًّ، فيذكرون موعظةً، أو يتلفّظون بذِكرٍ معيّنٍ أو بالصّلاة على النّبيّ الكريم -عليه الصّلاة والسّلام- طالبين من جلسائهم ترديدَ الذّكر أو الصّلاة عليه.

وهناك الكثير من المخالفات غير ذلك؛ كعدم البسملة عند البدء بتناول الطعام، والأكل والشرب باليسار في الناس، وعدم حمد لله عند الانتهاء، وعدم متابعة المتكلم بالنظر إليه لأن الكلام بالعين -كما يقول علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه-، ومقاطعة المتكلم قبل انتهائه، ومسابقة الصغير الكبير في الحديث، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال:(كبر كبر) للصغير حينما أراد أن يعطي الإناء لأحد فقال كبر أي أعطي الإناء لمن هو أكبر...

---

[8] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

[9] أخرجه الترمذي في سننه، وصححه الألباني.

[10] أخرجه البغوي في مسند ابن الجعد، وصحّحه الألباني.

- **آدابُ المجالس:**

أولًا- عدمُ التّفريقِ بين شخصين:

فلا ينبغي لك أنْ تقاطعَ اثنين متجالسَين في مجلسٍ ما، حتّى وإنْ استأذنتَ، لأنّهما لو أظهرا لك تقبّلَهما، فهما من الدّاخل قد لا يكونان متقبّلَين ذلك، وإذا تقبّلا ذلك بالفعل؛ فالأفضل لك أيضًا ألّا تفعل ذلك، **و**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:**"لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا"**[11].

ثانيًا- عدمُ إقامةِ شخصٍ لتجلسَ مكانه:

فإذا حضرتَ إلى مجلسٍ؛ ووجدتَ شخصًا أصغرَ منك مقامًا أو عمرًا، فلا ينبغي لك أن تقيمَه من مكانه، مهما كان السّبب.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:**"لاَ يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ"**[12].

أمّا إذا قام شخصٌ ما لُيجلِسَك مكانه فلا حرجَ، بل هذا من الأدب المطلوب.

ثالثًا- حفظُ أمانةِ المجلس:

يجبُ ألّا تُشعرَ جليسَك بأنّه يتوجّب أنْ يطلب منك الحفاظَ على سِرٍّ أخبرك إيّاه، وليس بالضّرورة أن يكون سِرًّا، فيتوجّبُ عليك حفظُ وكتمان أيِّ حديثٍ خاصٍّ، سواءٌ في حضورِه أو غيابِه.

رابعًا- سَعَةُ المجلس:

فإنْ كنتَ مُقتدرًا؛ فحبّذا لو أوسعتَ مجلسك، فذلك خيرٌ وأفضلُ للضيف، وأدعى للكرم، فالبعض عندما يصمّم بيتًا يلغي منه غرفة الضيافة، وهذا خطأٌ، والإسلام نبّه لذلك؛ فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:**"خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا"**[13]

---

[11] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

[12] أخرجه البخاري في صحيحه.

[13] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

خامسًا- التفسُّح في المجالس:

فإذا كنتَ جالسًا في مجلسٍ مُكتظٍّ بالنّاس؛ ودخل شخصٌ ما ليجلسَ، فافسح له مكانًا بجانبِك وإنْ كان ضيّقًا، فبهذه الحركةِ البسيطةِ يفسحُ الله تعالى لك -إن شاء- في الجنّة.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ**﴾(المجادلة: 11).

سادسًا- كفارة المجلس:

متى حضرتَ مجلسًا؛ وبعد انتهائك وخروجك، سلّمتَ على النّاس، وقلت: **"سبحانّك اللّهم وبحمدِك، أشهد أنْ لا إلهَ إلّا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك"**، فهذه كفّارة المجلس، ويجب أن تحرصَ على عدم نسيانها، والمواظبة عليها.

أذكُر أن إحدى الأخوات لا يمكنها أن تغادر محاضرتنا الدّينية إلّا أن تقولَها، على الرّغم من أنّه مجلسُ ذكرٍ، فما بالكَ بما يحدث في المجالس اليوميّة الأخرى؟ فما أحوجَنا للاستمرار عليها لِما فيها من فضلٍ عظيمٍ:

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم:**"**من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك "**[14].

سابعًا- مُلازَمةُ الضّيف، والعنايةُ به، وتوديعُه:

كان النّبيّ صلى الله عليه وسلم بكامل أدبه مع جلسائه وضيوفه، فلو خرج منهم أحدٌ لرافقه إلى الباب -وتوديعُ الضّيف من السّنّة النّبويّة- ولو أنّ أحدًا أمسكَ يده؛ لظلّ صلى الله عليه وسلم ماسكًا يده، فلا ينزعها حتى يبادرَ هو بذلك، ولو جاءه رجلٌ ليتكلم معه، لظلَّ صلى الله عليه وسلم معطيَه أذنه ومدنٍ رأسه منه حتّى ينتهي.
يقول الصّحابة-رضوانُ الله عنهم-: **"لم يكنْ ليَرجعَ رأسَه حتّى يكونَ هو الذي يُبعدُ فاه عنه".**

وعَن مَولًى لأَنَس بن مالِكٍ، قال: **"وكانَ رَسولُ الله صَلى الله عَليه وسَلم إذا لَقيَهُ أَحَدٌ مِن أَصحابِه فَقامَ مَعَهُ، فَلَم يَنصَرِف حَتى يَكونَ الرَّجُلُ هوَ الَّذي يَنصَرِفُ عَنهُ، وإذا لَقيَهُ أَحَدٌ مِن أَصحابِه فَتَناوَلَ يَدَهُ ناوَلَها إيّاهُ، فَلَم يَنزَع يَدَهُ مِنهُ**

[14] أخرجه التّرمذي في سننه، وصحّحه الألباني.

حَتى يَكونَ الرَّجُلُ هوَ الَّذي يَنزِعُ يَدَهُ مِنهُ، وإذا لَقيَ أَحَدًا مِن أَصحابِه فَتَناوَلَ أُذُنَهُ ناوَلَها إيّاهُ، ثُمَّ لَم يَنزَعها عَنهُ حَتى يَكونَ الرَّجُلُ هوَ الَّذي يَنزَعُها عَنهُ"[15].

- **سُبُل إصلاحِ المجلس:**

بصلاحِ المجالِسِ يصلح الإنسان، وتصلح البيوت، ويصلح الجُلساء، فلا بدّ لأيِّ مجلسٍ أن يرضيَ الله تعالى، ليعُمَّ الثوابُ على الجميع، ولتحقيق ذلك لا بدَّ من اتّباع الضّوابطِ الآتية:

أولًا- اختيارُ الجلساء:

في البداية يجب أن تختارَ جلساءَك وأصحابَك بدقّةٍ؛ لأنّ لهم الدّور الأكبر في سلوكك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:"الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"[16].

ويُحدّثنا القرآن الكريم عن نموذجين ممّا فعل الصّاحب بصاحبه:

الأول:

وردَ ذكره في سورة الفرقان؛ حيث اتّخذ شخص صاحبًا له، وكان سببًا في هلاكِه وضلاله، فيقول الله عزّ وجلّ عنّه وهو يتأوّه في نار جهنّم ويصيح من آلامها ومن عذابها:﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولا**﴾(الفرقان: 27-29).

فهذا يندم -وهو يتعذّب في نار جهنّم- على عدم اتّباع المنهجِ الإسلاميّ، وعلى تضييعه للحقّ، ويتمنّى لو أنّه لم يصاحب كلّ خليلٍ سيئٍ، لكنْ لن ينفعَ النّدم في ذلك الوقت، لهذا عليكَ أنْ تحذرَ من الآن.

أمّا الثّاني:

فورد ذكره في سورة الصّافّات؛ حيث دخل شخصٌ الجنة، ثمّ أصبح يبحث عن صاحبِه في الدّنيا، لكنّه لم يجده، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ**﴾(الصّافات: 55).

أي: فبحثَ عنه فرآه يتعذّب في وسْط النار، فعندئذٍ يقول له:﴿**تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ**﴾(الصّافات: 56).

---

[15] أخرجه ابن سعد في طبقاته الكبرى، وحسّنه الألباني.

[16] أخرجه أبو داود في سننه، وحسّنه الألباني.

أي: واللهِ إنّك كنتَ على وشَك أن تهلكَني معك -بسبب السّوء الذي كنت عليه في الدّنيا-إذ كنتُ سأُحشرُ معك في نار جهنّم، وإنّما أنقذني ربّي بفضله: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾(الصّافات: 57).

فاختر أصحابك وجلساءك بدقّة، لأنّ لهم دورًا كبيرًا في تحديدِ مصيرِك الأخرويّ، إمّا بتزيين المُنكر، أو باتّباعِ الحقّ.

ثانيًا- المجالسُ تؤتى بالدّعوات:

كلّنا يحتاج في حياته صديقًا مُقرّبًا، ولا يمكننا نكران هذه الحاجة، إذ نحتاجه؛ ليُسهّل علينا ما بقي من أعمارِنا، وليحُثّنا على مشاركته أو التّنافسِ معه على الخير، أو نتأثر به ويؤثّر بنا فيما يضمن السّلام لحياتنا، لكنْ أن يعيش الإنسان بمفرده ظانًّا أنّه يستطيع الاعتماد على نفسه وعلمه وقراءته فهذا قمّة الضّعف، لأنّ المؤمن قويٌّ بإخوانه ضعيفٌ بنفسه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"[17].

مِن أجمل مقاطع الفيديو التي رأيتُها؛ مقطعُ الفرسِ الغارقةِ في الرّمال المتحرّكة، ولم يبقَ منها إلّا رقبتها فوق الأرض، وكلّما حاولتِ الخروج انزلقتْ، وصاحبُها يشدُّها محاولًا إخراجَها، إلى أنْ جاءَ أحدُ أصحابه وطلب منه أن ينتظرَ لأنّ لديه فكرةً لإخراجها، فذهب وجلب قطيعًا كاملًا من الخيول، وجعل كلَّ القطيع يصهل عندما ضربه بالسّياط، وساقهم إلى الرّمال المتحرّكة لكنّهم قاموا، فلمّا رأتِ الخيلُ عزيمةَ القطيع تحمسّتْ وقوِيَتْ عزيمتُها ولحقتْ بهم.

فالصّاحب القويّ يمنح صاحبه القوّة.

روى البخاري -رضي الله عنه- عن علقمة:**"كان علقمةُ من كبارِ التّابعين يقول: "قَدِمتُ الشّام فلمّا دخلتُ دمشق؛ صلّيتُ في مسجدِها ركعتين فقلت بعدها: اللّهم يسّر لي جليسًا صالحًا، فما كان منه إلّا أن رأى حلقةً في المسجد فذهب إليها، يقول: فجاء بجانبي شيخٌ وقور، وقلت لمن بجانبي: من هذا؟ قال : ألم تعرفه؟ هذا أبو الدّرداء صحابيٌّ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول: فصاحبته..."**

لذلك كانت دعوات الصّالحين أن ييسّرَ الله لك هذا الرّفيق والجليس الصّالح.

ثالثًا- عدمُ قبولِ الباطلِ والبهتانِ في المجلس:

فلا يجوز لك البقاءَ في مجلسٍ يُخاض فيه بأعراضِ النّاس، سواءٌ خاضوا في أحدٍ تعرفه أو لا، وعليك أن توقفَ هذا النّقاش فورًا بأيّ طريقةٍ كانت، فإيّاك أن تتواجدَ في مجلسٍ يُلاك فيه بعرض أخيك المسلم.

[17] أخرجه البخاري في صحيحه.

انظر إلى أجرِك إن فعلتَ ذلك،فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ"**[18].

فنحن ندعو الله دائمًا -وخاصّةً في رمضان- أن يعتقَ رقابَنا من النّار، وقد تنالُ هذا العتق بحركةٍ بسيطة عندما تردّ عن عرضِ أخيك، إذا قلتَ في وسط الجلساء -مثلًا- واللهِ ما علمتُ عن فلانٍ أو فلانةٍ إلّا الخير، ودعونا نغيّر الموضوع...

وإذا ابتُليتَ بمجلسٍ يستهزئ به النّاس بشرعِ الله، ويهينون من لم يواكبْ ما يسمّونه حداثةً أو تطوّرًا، كالانتقاصِ من الممتنعِ عن سماعِ الأغاني، أو مشاهدةِ المسلسلاتِ العارية... وكأنّ التّقدم بالزّمان والتّطور -بنظرهم- يكون في ذلك، فلا تبقَ صامتًا، ولا تنجرفْ خلفهم، ولا تجعلْهم يؤثّرون على عقيدتك، وانصحْهم غير مرّة، فإنْ لم يستجيبوا فاهجرْهم هجرًا جميلًا.

لذلك قال **الشّيخ صالح بن حميد** في خطبة من خطب الجمعة: **"والحقُّ حقٌّ إنْ رُميَتْ رايتُه، وإن لم يكن له أنصار، وإن لم يكن له أتباع، والباطلُ باطلٌ ولو رُفِعَت رايتُه".**

وأيضًا إذا ابتُليتَ بمجلسٍ يُستهزَأُ به بسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدافعْ عنها، فإذا أكل أحدٌ بشماله فأنكرْ عليه ذلك، وإن استهزأ فكن عارفًا بدلائلِ الدّين، وأخبره حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ"**[19].

وقد علّمنا الله تعالى كيفيّة التّعامل في المجالس التي يُستهزَأُ فيها بالدّين، فقال الله تبارك وتعالى:﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾(النساء: 41).

فلا تكن إمّعةً ولا ترضَ الهوانَ على نفسك، ولا تتمسّك بأشخاصٍ يلعبون بالشّريعة كما يريدون. فهؤلاء منافقون، والبعدُ عنهم غنيمة، وإذا اتّخذتهم أخلّاءَ فأنت منهم ومصيرُك الدّرك الأسفل من النّار -والعياذُ بالله- يقول الله جل جلاله:﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾(النساء: ١٤٥).

ونهانا الله سبحانه وتعالى أيضا عن الجلوس مع الذين يخوضون بكلام الله دون توقيره، فيتكلّمون بما يمسُّ العقيدةَ والشّرع، ويتلاعبون بالحقائق ليقلبوا الحقَّ باطلًا والباطلَ حقًّا، فتجنّبْ هؤلاء؛ لأنّ الله تعالى وصفهم

[18] أخرجه التّرمذي في سننه، وصحّحه الألباني.

[19] أخرجه البخاري في صحيحه.

بالظّالمين؛ يقول جل جلاله: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾(الأنعام: 86).

إن الاستسهالّ بشرعِ اللهِ منتشرٌ بكثرةٍ في زماننا الحالي، وهناك انجرافٌ عنيفٌ تجاه المنكر؛ كالتّدخين والأركيلة والحشيش والحبوب المخدّرة، والاختلاطِ بين الجنسين...إلخ، لكنّ اللّافت -في هذا الجيل بالدّرجة الأولى- هو التّطبيع مع تلك المنكرات، والدّفاع عنها بشراسة، وجعلها مبدأً يجب الخضوع له.
فإيّاك أن تسكتَ عن الانتقاص لدين الله عزّوجلّ أو لمنكرٍ يُحكى في مجلسٍ أنت تكون فيه.

رابعًا- إذا كنت تستعدُّ لوليمةٍ في بيتك، فاجعل مع الضّيافة أمورًا أخرى؛
كالاتّفاق مع أحدِ الجلساءِ على إلقاءِ موعظةٍ، أو شرحِ تفسيرِ آيةٍ قرآنيّةٍ، أو سردِ قصّة مثريةٍ... المهمُّ أن تحرصَ على أن يخرجوا من مجلسك مستفيدين، فائزين برضى الله.
وبفَعلتك هذه؛ ثمرةٌ تربويّة، فقد يكرّر هذه الفعلةَ كلُّ أصدقائك عندما يكون المجلس عندهم، وقد يقلّدك الأجيال الناشئة، وقد تصبح الجلسات العائليّة أو الزوجيّة تحتوي تلك السّجايا الرّاقية...

وحاول -مثلًا- أن توصي أحدَ الأصدقاء أن يحضرَ معه كتابَ فوائدٍ أو مراجعَ مهمةٍ تحتوي أدلّةً معيّنة على أخطاء تتكرّر في مجالسكم، وتريد أن تنصحَ وتساهمَ بتصحيحها، فعندما يتواجد الدّليلُ بين يديك تصبح حجّتك أقوى، وترتفع نسبةُ إقناعِك من حولك.

أو تقوم بجلب أحد الكتب الشرعيّة، وتقترحُ على أصدقائك أن تبدؤوا معًا بحفظ -مثلًا- كتاب **(الأربعين النوويّة)** أو **(رياض الصّالحين)**... وتخصّصوا كلّ يوم حفظ قسمٍ معيّن، ثم تتناقشوا حول ما تعلّمتوه من قيمٍ وأخلاق...
وممّا لا يمكنني أن أغفل عنه؛ التّنبيه على الألفاظ الشّركيّة التي تنتشر بشكلٍ متسارعٍ اليوم خاصّة بين الأجيال الصّاعد، كالحَلف بغير الله تبارك وتعالى، أو السّبّ على أعراض بعضهم على سبيل المزاح...فوجّهوا أبناءَكم إلى الطّريق الصّحيح، والابتعادِ في اجتماعاتهم عن هذه المخاطر.

وكونوا على ثقةٍ-اليوم- أنّ المدرسةَ إن كانت تربي في عصورٍ سابقةٍ بنسبةِ **(50٪)**! فهي الآن أقلُّ من ذلك بكثير!! إلّا ما رحم ربي، فالمناهجُ والكتب والأهل كانوا يسهمون بالتّربية بنسبةٍ أكبر بكثيرٍ ممّا هي عليها اليوم، والوسائل المفسدة اليوم متوافرةٌ أكثر مما كانت قبل.
وبما أنّ المجالس تسهم بنسبةٍ قد تزيد على (70٪) بتكوين شخصيّة الإنسان، وميوله، واتجاهاته، وبناء أخلاقه، وتجسيد طباعه، فحَرِيٌّ بنا أن نوجّهَ اهتمامَنا لإصلاحها وتطويرها وتطهيرها واستثمارها بما يجلب الخير لنا ولأبنائنا ومجتمعنا، وهذا من حقِّنا وحقِّ المؤمنين على بعضهم.

أسألُ الله أن يجعلَ مجالسَنا تُرضيه، وأن يُعلّمنا ما ينفعنا، وأسأل الله أن يغفرَ لنا ويرحمنا.
سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أنْ لا إلهَ إلاّأنت، أستغفرك وأتوب إليك، والحمدلله ربِّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها